حوار حول الإرهـــاب

أجرت مقابلات مع 75 إرهابياً، وعملت كمديرة لمجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة وقدمت مشورتها بخصوص رواية نووية مثيرة لهوليود بُنِيَت على ممارساتها.

جيسّيكا ستيرن تتحدث عن الإرهاب في مجلة الـ IAEA.

سؤال: ما هو حجم خطر الإرهاب النووي — من حيث مخاطر ما يسمى بـ "قنبلة قذرة" أو حتى أسلحة نووية بين أيدي إرهابيين؟

يظلُّ الإرهاب النووي تهديداً قوياً، ونحن نعلم أن مجموعات إرهابية كانت تسعى في بعض الأحيان لاستحواذ أسلحة دمار شامل. هناك طرق متنوعة تمكِّن الإرهابيين من استخدام مواد نووية ومواد أخرى نشطة إشعاعياً: إذ يستطيعون الحصول على سلاح نووي من دولة نووية، ويستطيعون الحصول على المواد الانشطارية اللازمة وإنتاج سلاح بأنفسهم، مبتكرين أداة نووية مُرتجلَة، كما يمكنهم مهاجمة محطة كهرباء نووية، أو يمكنهم تخليق أداة تبديد إشعاعي، أي ما يسمى قنبلة قذرة. وسيكون الاحتمال الأول هو الأكثر تدميراً، ولكنه قد يكون أيضاً الأقل إمكانية. إن سرقة قنبلة ستكون مهمة صعبة بسبب الإجراءات الأمنية المشددة التي تُفرض على منشآت تخزين الأسلحة النووية. كما أن الدولة التي تمنح الإرهابيين أسلحة نووية لابد أن تتخوّف بشكل جدّي من احتمال التعرف إلى مصدر القنبلة، وبالتالي أن تواجه انتقاماً منتظراً. وفي هذا الصدد، فإن المفاجأة كانت مدهشة عندما تم التعرف إلى مهمات قامت بها مجموعات إرهابية في مواقع تخزين أسلحة نووية روسية في العام 2001، لكن جهود الإرهابيين سرعان ما كشفتها عناصر أمنية.

أما الاحتمال الثاني، وهو خطر حصول الإرهابيين على مواد تستخدم في سلاح نووي، فإنه يجب أن يؤخذ بالحسبان بشكل جدّي، ولا سيما في ضوء ما عُرِف عن لقاء بين علماء نوويين باكستانيين والقاعدة، وعن جهود سرية لتصدير تقانة نووية عن طريق شبكة قدير خان. إن انتشاراً إرهابياً لمواد مشعة، سواء بمهاجمة محطة نووية أم بنشر هذه المواد بوساطة أدوات مصنّعة محلياً، هو السيناريو الأكثر ترجيحاً. ولكن حتى الآن، إنه لمن الأهمية بمكان استبقاء التهديد حاضراً في ذاكرتنا، إذ إن القنابل القذرة مخيفة أكثر من كونها مميتة.

لقد فكّرَت حكومة الولايات المتحدة في تطوير أسلحة إشعاعية خلال الحرب العالمية الثانية، لكنها تخلّت عن المشروع باعتباره غير عملي. وعلى النقيض من ذلك، فإن الوسائل الكيميائية يمكن تخزينها لمدة طويلة، وهي أسهل للنقل. وهذا ما يجعلها أكثر جاذبية للإرهابيين من التجهيزات الإشعاعية إذا ما كانت الغاية الرئيسية قتل عدد كبير من البشر.

غير أن الأسلحة الإشعاعية يمكن أن تكون أدوات فعّالة للإرهاب بسبب تأثيراتها النفسية. فقد أظهرت عدة دراسات أن الناس يُفزعهم الإشعاع بشكل يفوق في نسبته الخطر على صحة الإنسان من جرّائه. ويسعى الإعلام أيضاً لتركيز الانتباه على حوادث الإرهاب، الأمر الذي يزيد نسبة الذعر والفزع. إننا نشعر بخوف مفزع من الإرهاب، وإننا ميالون لاستبعاد الخطر كلياً، دون اعتبارٍ للكلفة. وعلى العكس من ذلك، حينما ينظر إلى الأنشطة الخطرة على أنها طوعية ومألوفة، فإن الخطر يحتمل أن يستهان به. وبشكل وسطي، يموت يومياً أكثر من 100 مواطن أمريكي بسبب حوادث السيارات. ومع ذلك فإن الناس يعرّضون أنفسهم للخطر لأنه فعل إرادي والسائقون يشعرون بوهم السيطرة على الموقف.

س: ما الذي يمكن عمله للحدِّ من مخاطر الإرهاب النووي؟

أولاً، نحن بحاجة لإدراك أن ذلك هو نوع جديد من الحرب، وأن أعداءنا يتعمدون استهداف المدنيين. لكن الارتياب والخوف والتعطُّل هي أسلحتهم الأكثر أهمية. إن أهم تحرك نقوم به، إذاً، هو تكوين قاعدة

شعبية متفهمة ليس فقط للمخاطر التي نواجهها بل أيضاً لدور الخوف في تفاقم هذه المخاطر.

لكن تثقيف المجتمع ما هو إلاّ الخطوة الأولى. هناك إجراءات حكيمة عديدة يمكنها تخفيض احتمالية مثل هذه التهديدات وصدمتها. فمحطات القدرة الكهربائية النووية يجب صونها. كما يجب إعداد خطط الإجلاء وتحضير المشافي للطوارئ. ويجب نشر مكاشيف الإشعاع عند المنافذ والحدود، وكذلك يجب تحسين منظومات النظائر المشعة. وعلى الرغم من معدل الإصابات المنخفض نسبياً في حالة الاعتداءات الراديولوجية، فإن التأثير السيكولوجي سيكون أكثر تدميراً بكثير إذا ما كانت الحكومات على غير استعداد للطوارئ.

تتطلب الأسلحة غير التقليدية المستخدمة في حرب شمولية استجابات غير تقليدية، فيجب إقحام وكالات ومنظمات جديدة، وستلعب المعامل دوراً متنامياً مهماً. ويلزم أن تكون الصناعات الغذائية مدركة أن العدو في هذه الحرب لن يكون له مظهر جندي وقد لا يحمل مسدساً. بل عوضاً عن ذلك، قد يظهر العدو في هذه الحرب الجديدة بمظهر امرأة حبلى بريئة لاشيء فيها يشبه إرهابياً تتصورونه في خيالكم، وقد يكون عاملاً داخلياً في معمل تحضير مواد غذائية يهدف إلى سرقة مصادر إشعاعية أو منتجات غذائية ملوثة، على سبيل المثال.

يبدو لي بأنه قصر استبصار بشكل لافت للنظر. وسيستلزم الأمر جهداً عالمياً لاحتواء انتشار الإرهاب. وإن جزءاً مما نحتاج لفعله هو تخفيف وصول الإرهابي إلى مواد الدمار الشامل من خلال متابعة الجهد العالمي لتحصين المواد النووية والخبرة، بما في ذلك إيقاف شبكات التزويد النووي السرّية، حسبما ذكرتُ أعلاه. لكننا بحاجة لدراسة كيفية انتشار أيديولوجيات الإرهابي، ولماذا تبدو بعض الشعوب تميل بشكل خاص لفكرة أن الطريقة الجيدة لمناهضة ما يبدو قطار العولمة والأمركة غير القابل للإيقاف إنما تكون عبر العنف ضد المدنيين.

إن الإرهاب هو شرٌّ دون أدنى شك، ولكنني أعتقد أنه يجب أن نحاول فهم ما الذي يجعل الشباب، وعلى نحو متزايد الشابات، أن يصبحوا إرهابيين. فلن يكون بإمكاننا وقف الإرهاب إذا ركّزنا فقط على شرِّه ولم نهتم بمحاولة إدراك وفهم المظالم والشكاوي التي تسبِّبه.

س: قمت ببعض الأعمال مع تيد تُرنر في مبادرة التهديد النووي Ted Turner's Nuclear Threat Initiative وساعدت الهند وباكستان من أجل تحسين أمن الأسلحة والمواد النووية، وأوردت في كتابك الأخير

الإرهاب هو شكل من حرب سيكولوجية تستدعي استجابة نفسية واعية. فتحدّينا الأصعب هو ألاّ نبالغ - في الهواية الأعز لدى الإرهابي - وألاّ نستسلم للخوف.

الإرهاب هو شكل من حرب سيكولوجية تستدعي استجابة نفسية واعية. فتحدّينا الأصعب هو ألاّ نبالغ –في الهواية الأعز لدى الإرهابي– وألاّ نستسلم للخوف. ويلزمنا تحقيق التوازن بين الحريات المدنية وأمان الجماهير.

س: هل تعمل الدول بما فيه الكفاية لمكافحة بذور الإرهاب وفهمه؟

الجواب هو "لا" مدوية. ما يزال هناك الكثير من الجدل في بلدي حول ما إذا كان من الضروري بحث أسباب الإرهاب، أو مناشدة واسعة لأيديولوجية الإرهابي، بهدف تخفيض الخطر. إن فقد الاهتمام هذا

إمكانيات انهيار روسيا. كيف استطعتِ مساعدة تلك الدول على تحسين أمنهم النووي؟

اشتركتُ في المساعدة على صياغة رؤية لمبادرة التهديد النووي NTI في بدايتها الأولى، وبعد ذلك قامت مبادرة التهديد النووي NTI بتمويل البروفسور سكوت سَغَان S. Sagan وتمويلي للنظر فيما إذا كان هناك طريقة لمساعدة الهند وباكستان على تحسين أمن المواد والأسلحة النووية، وقد عملنا بالطريقة نفسها، ومن الناحية العملية، لا زلنا مستمرين بالعمل في الدول السوفييتية السابقة. فقد اشتركت في مساعي لضمان تحصين المواد النووية في الاتحاد السوفييتي السابق، وتبدو كأنها فكرة جيدة لمحاولة تنفيذها في باكستان.

ذهبت إلى باكستان وذهب سكوت إلى الهند. أما الباكستانيون فقد كانوا منفتحين جداً ويريدون حقاً التعاون مع موظفين يمكن الاعتماد

يجب أن نحاول فهم ما الذي يجعل الشباب، وعلى نحو متزايد الشابات، أن يصبحوا إرهابيين

عليهم. ولتحقيق إمكانية الاعتماد على الموظفين لا بد من المساعدة في ضمان أن القيِّمين على المواد النووية والأسلحة النووية يقومون بواجبهم، مما يجعلهم موضع ثقة، بحيث لا يبادرون فجأة بالانضمام إلى جماعات إسلامية قد تحارب الحكومة الباكستانية أو أشخاصاً آخرين.

وعندما تبيَّن مدى اتساع شبكة أ. ق. خان A. Q. Khan النووية، لم أتمكن من المساعدة وكان لا بد لي من التساؤل عما إذا كان لدى الأشخاص الذين نتصل بهم فيما يتعلق بالمؤسسة الباكستانية النووية أية معلومات عما كان هذا الرئيس السابق للبرنامج النووي الباكستاني ينوي فعله –وعما إذا كانوا بالضبط قلقين بخصوص ما رشح عن ذلك– أي أن يصبح العلماء أصحاب النزعة الإسلامية بمثابة مروجين خاصين للانتشار النووي.

س: هل لك أن تخبرينا عن مشاركتك في فلم صانع السلام؟ وهل أدهشك أن حياتك تؤثر على الفلم؟

بعد أن أمضيت سنتين بعد الدكتوراه في منصب لدى مختبر لورانس ليفرمور الوطني في تحليل الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، أصبحت مديرة لمجلس الأمن القومي للشؤون الروسية والأوكرانية والأوربية– الآسيوية. حيث تبيَّن أنه لم يكن هناك أحد في مجلس الأمن القومي يعمل في مجال الأمان النووي الذي أردت العمل فيه –أي إمكانية سرقة المواد أو الأسلحة النووية والتهديد الإرهابي. وكنت محظوظةً أن عدداً من أفضل خبراء العالم في مجال تهريب المواد النووية والإرهاب، بمن فيهم الفيزيائي فرانك فون هِبِّل F. von Hippel والخبير النووي ماثيو بون M. Bunn، كانا يعملان لدى الحكومة في ذلك الوقت. ولكن، ربما لم يكن هناك سوى إدراك ضئيل لأهمية هذه التهديدات، وربما لأن الكثير من القضايا الهامة كانت قضايا فنية بحتة، لم يكن صوتهما يُسمع ولم تتم الاستفادة من خبرتهما بالشكل الصحيح. ولكنهما ساعداني بقدر كبير.

وذات يوم طلب المكتب الصحفي لمجلس الأمن القومي NSC أن ألتقي ليزلي كوكبرن L. Cockburn الصحفية المشهورة التي تعمل في فانيتي فير Vanity Fair، وحذروني بأن ليزلي محققة مميّزة ومعروفة بقدرتها على تتبع المعلومات التي يمكن أن تحرج البيت الأبيض. كما أن ليزلي قضت وقتاً في روسيا ورأت أن الظروف الأمنية لمكوّنات الأسلحة النووية ضعيفة. لقد كانت مهتمة في موضوع إمكانية سرقة الأسلحة النووية أو مكوّناتها واستخدامها من قِبَل الإرهابيين، واستنتجت بأن الحالة على درجة كبيرة من الخطورة، وأرادت معرفة ما الذي سيفعله البيت الأبيض لحماية الشعب الأمريكي.

لقد أوضحتُ لليزلي بأنني معنيّة تماماً، مثلما ما هي معنية، وكذلك عدد كبير من أركان الحكومة الذين يجتمعون بشكل منتظم في محاولة لحل المشكلة. كما أخبرتُها كيف نفّذت الحكومة الأمريكية مهمة لنقل مخبأ ضخم للأسلحة النووية خارج كازاخستان عن طريق جسر جوي، حيث كان هناك ما يكفي من المادة لصنع عشرات من القنابل، وهذا ما جعل حكومة كازاخستان تخشى إمكانية سرقتها. وأخبرتها بأنني كنت أُدير ضمن الوكالة مجموعة تدعى مجموعة التهريب النووي التي تجتمع بشكل منتظم لمناقشة حوادث مسجلة عن سرقة نووية ولتطوير السياسات الوطنية. لقد أصغت ليزلي ودوَّنت ملاحظات، حيث بدت متأثرة بأن هناك العديد من الأشخاص يتعاملون مع المشكلة بجدية في فروع مختلفة من الحكومة. وبعد أن انتهت المقابلة عُدت إلى العمل، حيث انهمكت مشغولة جداً بمزيد التفكير في الأمر.

بعد عدة أشهر تلقيت اتصالاً من شركة دريم وركس DreamWorks الترفيهية التي أسّسها ستيفن سبلبرغ S Spielberg. مع اثنين من زملائه. ودون إبلاغي، قامت كوكبرن Cockburn وزوجها بكتابة فلم مستند على تجاربي وأقنعا شركة دريم وركس على إنتاجه. وفي هذا الفلم تبحث النجمة نيكول كدمان N. Kidman وجورج كلوني G. Clooney كلاهما عن الأسلحة النووية حول العالم، وشاركت المجموعة كمستشار. شاهدت الفلم كمتفرجة، باعتباره أُعدَّ لتحذير العالم من أخطار الإرهاب النووي والحاجة لاتخاذ موقف لإحباط التهديد. ولكن قبل التاسع من أيلول/سبتمبر كانت قلة من الناس قد أخذت الإرهاب على محمل الجد، ولم يكن للفلم تأثير كالذي يمكن أن يُحدثه فيما لو عُرِض بعد الهجمات.

جيسيكا ستيرن خبيرة أمريكية في الإرهاب ومؤلِّفة لـ "الإرهاب تحت ستار اسم الرب": لماذا يقوم المحاربون المتدينون بالقتل، 2006) –تضمن هذا الكتاب تحليلها لخمسة أعوام من المقابلات مع أكثر من 75 عضواً من مجموعات متطرفة. وهي محاضِرة في السياسة العامة في جامعة هارفارد، وعملت كمديرة للشؤون الروسية والأوكرانية والأوربية في مجلس الأمن القومي، وكانت زميلة لدى مجلس العلاقات الخارجية فيما يتعلق بالإرهاب الكبير.

تُعرِّف المؤلفة الإرهاب على أنه "فعل أو تهديد بالعنف ضد غير المحاربين بهدف الانتقام القاسي أو التخويف أو من ناحية أخرى التأثير على الجمهور المشاهد".